الفصل الأول

حول تعريف الصحابي

كل من لقي رسول الله مؤمنًا به ومات على الإسلام
فهو من أصحابه فمن أحبهم فهو يحب الله ورسوله
ومن أبغضهم أبغضه الله ورسوله

الفصل الأول

حول تعريف الصحابي

من هو الصحابي؟

قال الإمام البخاري في «صحيحه»: ومن صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه[1].

وقال علي بن المديني شيخ البخاري: من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار؛ فهو من أصحاب النبي ﷺ[2].

وهذا القول هو قول الإمام أحمد وجمهور العلماء كما ذكر الحافظ. وقد عرف الحافظ ابن الحجر الصحابي تعريفًا دقيقًا جامعًا فقال في أول كتاب «الإصابة»: أصح ما وقفت عليه في ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام[3].

فالصحابة هم الجيل الفريد الذين اختارهم ربهم واصطفاهم لصحبة خير خلقه محمد ﷺ فاكتحلت أعينهم برؤيته، وزكت نفوسهم بدعوته، وحسنت أخلاقهم وطابت حياتهم بصحبته، وارتفعت درجاتهم في الجنة بنصرته، وبتضحيتهم في سبيل الله بدمائهم وأموالهم وأنفسهم وديارهم.

فنالوا هذا الشرف العظيم - أعني شرف الصحبة - الذي لم ينله أحدٌ في الخلق غيرهم، ولذلك فضلهم الله على كل أتباع الرسل، وجعل لهم من الفضائل ما لم يحصله بشر.

---

(1) «فتح الباري» [٧/ ٣].

(2) «الفتح» [٧/ ٦].

(3) «الإصابة» [١/ ١٥٨].

قال أهل اللغة: «والصحابي نسبة إلى الصاحب وله معانٍ تدور حول الملازمة والانقياد»[(١)].

لآلىء ودرر للحافظ ابن حجر: اسم صحبة النبي ﷺ مستحق لمن صحبه أقل ما يطلق عليه اسم صحبة لغة، ويطلق أيضًا على من رآه رؤية ولو على بعد وهذا هو الراجح. إلا أنه هل يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه أو يكتفى بمجرد حصول الرؤية؟ محل نظر. وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فإنهم ذكروا محمد بن أبي بكر الصديق، وإنما ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أشهر وأيام كما ثبت في الصحيح أن أمه أسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل أن يدخلوا مكة وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة واشترط بعضهم أن يكون صحب النبي سنة فصاعدًا أو غزا معه غزوة فصاعدًا والعمل على خلاف ذلك؛ لأنهم اتفقوا على عد جمع جم في الصحابة ولم يجتمعوا مع النبي إلا في حجة الوداع.

ثم قال: والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين. وقول البخاري «من المسلمين» قيد يخرج به من صحبه أو رآه من الكفار، فأما من أسلم بعد موته منهم فإن كان قوله «من المسلمين» حالًا خرج به من هذه صفته وهو المعتمد. ويرد على التعريف من صحبه أو رآه مؤمنًا به ثم ارتد بعد ذلك فلم يعد إلى الإسلام فإنه ليس صحابيًا اتفاقًا، فينبغي أن يزاد «ومات على ذلك» ولو ارتد ثم عاد إلى الإسلام لكن لم يره ثانيًا بعد عوده فالصحيح أنه معدود في الصحابة لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه ممن وقع لهم ذلك[(٢)].

---

(١) «لسان العرب» [١/ ٥١٩].

(٢) «الفتح» بتصرف يسير [٧/ ٦-٧].

هل هناك صحابة من غير البشر؟

قال الحافظ: وهل يختص جميع بني آدم أو يعم غيرهم من العقلاء أما الجن فالراجح دخولهم في الصحبة لأن النبي ﷺ بُعِثَ إليهم قطعًا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون، فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وأما الملائكة فيتوقف عدهم فيهم على ثبوت بعثته إليهم[(١)].

فالحاصل أن هناك صحابة للرسول من الجن لأنهم مكلفون وقد دعاهم الرسول ﷺ وآمنت طائفة منهم برسول الله ﷺ روى الترمذي عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد[(٢)].

وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

كذلك قال تعالى في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

---

(١) «الفتح» [٧/ ٧]، ولا يُعْلم فيما أظن اسم واحدٍ منهم أعني: الجن.

(٢) رواه الترمذي برقم [٣٢٩١] وصححه الألباني في «السلسلة» برقم [٢١٥٠]، وصحيح الترمذي برقم [٢٦٦٤].

عدالة الصحابة

الصحابة كلهم عدول ثقات بإجماع العلماء قال السيوطي: الصحابة كلهم عدول، من لابس منهم الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به.

قال الخطيب البغدادي في الكفاية: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في آيات كثيرة يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحدٍ من الخلق[(١)].

ومنزلة الصحبة هي أعلى منزلة وأشرف مكانة في الإسلام بعد النبوة فالصحابة كلهم جملة وتفصيلًا أفضل من كل التابعين جملة وتفصيلًا وأقل صحابة شأنًا أفضل من كل التابعين على القول الصحيح الراجح.

قال إبراهيم بن سعد الجوهري: سألت أبا أسامة وهو حماد بن أسامة بن زيد أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟

فقال: لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحدًا[(٢)].

وقال بعض السلف: غبارٌ دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل عمر بن عبد العزيز[(٣)]. وقد علق الحافظ ابن حجر على ذلك بقوله: نعم والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ.

---

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» [١/ ١٦٢].

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» [٢/ ٢٢٧]، «الشريعة» للآجري [٤/ ١٧٠] وصححه محقق الشريعة.

(٣) «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية [٤/ ٢٢٦].

أول الصحابة وآخرهم

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد، وأول النساء خديجة، ومن الأنصار جابر بن عبد الله بن رباب، وأول من هاجر إلى الحبشة: حاطب بن عمرو، وإلى المدينة مصعب بن عمير.

وأول من بايع ليلة العقبة أسعد بن زرارة، وأول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي، وأول من أذن بلال، أول من سَلَّ سيفًا في الإسلام الزبير، أول من عدا به فرسه في سبيل الله: عبد الله بن جحش، وهو أول من دُعي بأمير المؤمنين، وأول شهيد في الإسلام سمية[1].

وقال أيضًا: آخر من مات من أهل العقبة جابر بن عبد الله بن عمرو، ومن أهل بدر أبو اليسر، ومن المهاجرين سعد بن أبي وقاص، وهو آخر العشرة موتًا، وآخر من مات بمكة من الصحابة ابن عمر، وبالمدينة سهل بن سعد بن معاذ، وبالكوفة عبد الله ابن أبي أوفى، وبالبصرة أنس بن مالك، وبمصر عبد الله بن الحارث بن جزء، وبالشام عبد الله بن بُسْر، وبخراسان بُريدة، وآخر الناظرين إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موتًا هو أبو الطفيل عامر بن واثلة[2].

أولئك قوم شيد الله فخرهم ... فما فوقه فخرٌ وإن عظم الفخرُ

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلُوا

لا يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن حاولوا في النائبات وأجملوا

---

(1) «المدهش» [٥٢/ ٥٣].

(2) «المدهش» [٥٢/ ٥٣].

عدد الصحابة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ فيهم كثرة تبعد الإحاطة بعددهم.

وعن أبي زرعة الرازي أن رجلًا قال: يا أبا زرعة، أليس يقال: حديث رسول الله ﷺ أربعة آلاف حديث؟ قال: ومن قال ذا قلقل الله أنيابه؟! هذا قول الزنادفة، ومَنْ يحصي حديث رسول الله ﷺ ؟!

قُبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه. قيل له: يا أبا زرعة، هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه؟ قال: أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع[(١)].

وقال الحافظ العراقي: معقبًا على كلام أبي زرعة هذا: وفي هذا التحديد بهذا العدد المذكور نظر كبير، وكيف يمكن الاطلاع على تحرير ذلك مع تفرق الصحابة في البوادي والقرى؟!.

والموجود عن أبي زرعة بالأسانيد أنه ترك التحديد في ذلك وأنهم يزيدون على مائة ألف[(٢)]، ومما يدل على كثرة الصحابة في تبوك وعدم تحديدهم بعدد معين قول كعب بن مالك رضي الله عنه: والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتابٌ حافظ[(٣)] أي: ديوان.

اللهم ربنا! ارضَ عنهم واجزهم عنا خير الجزاء وألحقنا بهم في الصالحين، وارزقنا التمسك بهديهم بعد هدي النبي إلى يوم الدين.

---

(١) «الجامع للخطيب البغدادي» [٢/ ٤٤٨]، «ومقدمة ابن الصلاح» [ص:٤٣٢].

(٢) «الإصابة» [١/ ٣]، «مناهج وآداب الصحابة» [ص:٢٠].

(٣) متفق عليه، رواه البخاري رقم [٤٤١٨]، ومسلم رقم [٢٧٦٩].